

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(211) بقوله: (وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) (1) . فالآية تكلف النبي أن لا يدافع عن الخائن، ومن الواضح أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن في زمن حياته مدافعاً عن الخائن، وانما هو خطاب عام أُريد منه تربية المجتمع وتوجيهه إلى هذه الوظيفة الخطيرة، وبما أن أكثر الناس لا يتحملون الخطاب الحاد، بل يكون مرّاً في أذواق أكثرهم، اقتضت الحكمة أن يكون المخاطب، غير من قصد له الخطاب. 7. وعلى ذلك يحمل قوله سبحانه: (إِنَّ زَلْزَلَنَا إِلَيْكَ وَالْكِتَابَ بِالْحَقِّ لَنَتَّخِذَكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بَرْمًا أَزْكَىٰ وَاللَّاتَكُونَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) (2) وأخيراً نقول: إن سورة الإسراء تحتوي على دساتير رفيعة المستوى، ترجع إلى وظائف الامة: الفردية والاجتماعية، وهو سبحانه يبتدىء الدساتير بقوله: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا) (3)، وفي الوقت نفسه يختمها بنفس تلك الآية باختلاف يسير فيقول: (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلَاقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلًا مَّوْمًا مَدَّوْرًا) . (4) فهذه الخطابات وأشباهها وإن كانت موجهة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن قصد بها عامة الناس لنكتة سبق ذكرها، وإلا فالنبي الاعم (صلى الله عليه وآله وسلم) أعظم من أن يشرك بالله تعالى بعد تشرّفه بالنبوة، كيف، وهو الذي كافح الوثنية منذ نعومة أظفاره إلى أن بعث نبياً لهدم الشرك وعبادة غير الله تبارك وتعالى. _____ 1 . النساء: 107. 2 . النساء: 105. 3 . الإسراء: 22. 4 . الإسراء: 39.